أولاً: مناهج القرن التاسع الهجري

- **التفسير بالمأثور**

يستخدم المفسرين هذا النوع من التفاسير لتفسير ما بكتاب الله، وسنة نبيه الكريم، والأقوال المأثورة التي أخذها الصحابة عن النبي وأخذها عنهم بعد ذلك التابعين والسلف الصالح من الاجيال الاولى من المسلمين، وهذا التفسير هو أحد انواع التفسيرات الدينية الموثوقة والصحيحة المؤكدة لآيات القرآن الكريم والمأخوذة منه بدون تحريف في المعاني او اتباع لأفكار شخصية او تأويل، وكانت هذه التفسيرات مراعية لروح الشريعة وليست تفسيرات مجردة، وجاءت واضحة ومباشرة، ومتأصلة من النصوص الدينية كالقرآن الكريم والسنة النبوية.

إن التفسير بالمأثور يعتمد على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والروايات الواردة عن الصحابة والتابعين، حيث أن الاختلاف بين السلف والأجيال الأولى من المسلمين كان ضئيلاً جدًا مقارنةً بما جاء بعدهم من الأجيال وكان الاختلاف في أفكارهم يكون في التعبير وليس في المعنى نفسه.

والاختلافات التي أوردها ابن تيمية ترتكز على نوعين[1]:

الأول: عندما يعبر أحد السلف عن المقصود في النص بطريقة مختلفة عن طريقة صاحب النص الأصلي، لكن يكون المعنى متفقًا فمثلاً، تفسير الآية : (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[2]، حيث تشير إلى اتباع القرآن وقال البعض الآخر إنها تشير إلى الإسلام، ولكن الفكرة العامة للاتفاق تكمن في أن دين الإسلام يدل على اتباع القرآن ولكن كل منهم ركز على جانب معين من المعنى.

والثاني: عندما يذكر كل من السلف أنواعًا من الأشياء العامة بطريقة التمثيل لتوضيح أو تنويه للمستمع عن الجانب المقصود، على سبيل المثال، في تفسير قول الله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ)[3]، حيث قيل إن "السابق" يشير إلى الشخص الذي يصلي في أول الوقت.

---

[1] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، (١٩٨٠)، مقدمة في أصول التفسير، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص١١.

٢ سورة الفاتحة، الآية: ٥.

٣ سورة فاطر، الآية:٣٢.

كما ذكر ابن عباس، رضي الله عنه، أن التفسير يمكن أن يكون على أربعة أوجه، أحدها يتعلق بمعرفة اللغة العربية والتعبيرات التي استخدمتها اللغة، والآخر متعلق بتفسير القرآن بما روي عن النبي والصحابة[٤].

المطلب الأول: الثعالبي في تفسيره

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، يكنى أبا زيد، ويلقب بالثعالبي الجزائري، المغربي، المالكي، وقد اختلف في سنة مولده، فقيل أنه عام ٧٨٦هـ، وقال البعض أنه عام ٧٨٧هـ[٥].

وقد نشا في بيت علم وفضل، وكانت أسرته من أهل الصلاح، كان مطلع على كتب التاريخ والتفسير والحديث والأصول والكلام والأدب واللغة والنحو، والصرف من سن صغيرة.

ثانياً: التعريف بتفسير الثعالبي واتجاهاته (الجواهر الحسان في تفسير القرآن):

في المقدمة ذكر الثعالبي كاشفا عن تفسيره يقول : "فإني قد جمعت لنفسي ولك فى هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين، فقد ضمَّنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمَة، من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأُمَّة، حسبما رأيته أو رُوِيته عن الإثبات وذلك قريب من مائة تأليف، وما فيها تأليف إلا وهو لإمام مشهور بالدين ومعدود فى المحققين، وكل مَنْ نقلت عنه من المفسِّرين شيئاً فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عوَّلت، ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع فى الزلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها إليه، وما انفردتُ بنقله عن الطبري، فمن اختصار الشيخ أبى عبد الله محمد ابن عبد الله بن أحمد اللخمي النحوي لتفسير الطبرى نقلت، لأنه اعتنى بتهذيبه"٦

وقد صنفه الذهبي من كتب التفسير بالمأثور " وقد قرأت فى هذا التفسير فلاحظت أنه التزم ما ذكره فى مقدمته، فنقل عمن ذكرهم، ورمز إليهم بالحروف المذكورة، ووجدته يتعرض للقراءات أحيانا، ويدخل فى الصناعة النحوية ناقلا عمن ذكره ومن عند نفسه، ورأيته يستشهد فى بعض المواضع بالشعر العربي على المعنى الذى يذكره، وهو إذ يذكر الروايات المأثورة فى التفسير يذكرها بدون أن يذكر سنده إلى من يروى عنه، وقد وجدت الثعالبى

---

[٤] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١٩٧٤)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د.مط، ٢/ ١٨٦.

٥ محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، (٢٠٠٣)، شجرة النور الذكية، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٣١/٢.

٦الثعالبي، عبدالرحمن ب محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان ،دار احياء التراث العربي،بيروت، ج١-ص١١٧

يذكر بعض الروايات الإسرائيلية، ولكنه يتعقب ما يذكره بما يفيد عدم صحته، أو على الأقل بما يفيد عدم القطع بصحته " (٧)

وتميز تفسير الثعالبي بمسيرته في التأليف وفسر القرآن بالقرآن وبالسنه النبوية وبأقوال الصحابه والتابعين

- **المصادر التي أخذ منها في تفسيره:**

لقد اعتمد على كلام السابقين له من السلف والخلف والشيوخ الذي تتلمذ علي أيديهم، فكانت رحلته في العلم لها أثر كبير في تدوينه لهذا التفسير وبالأخص كتب المشرقين، فقام على الجمع لحصيلة وفيرة منه، بالاضافة لأسفار عديدة ندره اقتنص منها، حيث تنوعت المصادر التي اعتمد عليها، وتشكلت على حسب العلوم التي يحتاج لها في تفسيره، ومن هذه المصادر:

١- تفسير ابن عطية المسمى، "المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وهو الأصل الذي اعتمده المصنّف، فاختصره، وزاد عليه، ومؤلف المحرر هو : (عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم .وقيل :عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية الغرناطي صاحب التفسير الإمام أبو محمد الحافظ القاضي).

٢- مختصر تفسير الطّبريّ، " لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي، النحوي".

٣- مختصر البحر المحيط، " لأبي حيّان، اختصره الصفاقسي"، وسماه: المجيد في إعراب القرآن المجيد: وهو من أجلّ كتب الأعاريب، وأكثرها فائدة[٨].

٤- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام الرّازيّ: " وهذا التفسير من التفاسير الجليلة الشأن وقد أطال في الاستدلال والإيراد للشبه إطالة كادت تغطي على كونه تفسير، وهو كتاب يشبه الموسوعة في علم الكلام واللغة والأصول والآثار والعلوم الكونية والطبيعية وغيرها من الفنون[٩].

٥- أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربيّ: وقد أكثر الثعالبي في النقل عن هذا التفسير، ويتضح من خلال الاستقراء لآيات الأحكام في طرقه لتناوله لها، وهذا الكتاب لا يتعرض لسور القرآن

٧الذهبي ، التفسير والمفسرون (١٧٩/١) مكتبة وهبة القاهرة

٨ المرجع السابق: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، (٢٠٠٣)، شجرة النور الذكية، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٢٤/٢.

٩ عبد الجواد خلف محمد عبد الواد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، القاهرة: دار البيان، ص١٤٠.

كلها، ولكنه يتعرض لما فيها من آيات الأحكام فقط، وطريقته في ذلك أن يذكر السّورة، ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام[10]، ثم يأخذ في شرحها آية، وهو من التفاسير الفقهية الهامة، حيث قد نقل عن الثعالبي في ثنايا تفسيره.

- **وقد اعتمد كذلك الثعالبي في تفسيره على كتابين لغريب ألفاظ الكتاب العزيز، وهما من كتب غريب القرآن والحديث، وهما:**

أولهما: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي.

الثاني :وهو مختصر غريب القرآن للحافظ زين الدين العراقي.

- **مصادر السنة التي اعتمد عليها الثعالبي في تفسيره وهي:**

١- صحيح الإمام البخاري.

٢- صحيح الإمام مسلم.

٣- سنن أبي داود.

٤- سنن الترمذي.

٥- حلية الأبرار أو الأذكار، للأمام النووي.

٦- سلاح المؤمن، لتقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن همام المصري الشافعي.

٧- مصابيح السنة، للبغوي.

٨- الموطأ، للإمام مالك

- **كتب الترغيب والترهيب التي اعتمد عليها الثعالبي في تفسيره:**

١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام القرطبي.

٢) العاقبة، للإمام عبد الحق الأشبيلي

٣) الرقائق، لابن المبارك.

٤) بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبي عمر بن عبد البر.

---

[10] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٩٤/١.

٥) رياضة المتعلمين، للأصفهاني

- **كتب الأحكام الفقهية والأصولية:**

١- المدونة، لسحنون بن سعيد.

٢- مختصر ابن الحاجب الفرعي.

٣- الإلمام في أحاديث الأحكام، لابن دقيق العيد.

٤- البيان والتحصيل، لابن رشد.

٥- مختصر ابن الحاجب، المسمى بالمنتهى.

- **كتب الشمائل والخصائص**[١١]:

١- كتاب القاضي عياض، والمسمى : " الشفا بتعريف حقوق المصطفى".

٢- كتاب "الآيات والمعجزات" لابن القطّان.

- **كتب في الأسماء والصفات:**

١- شرح أسماء الله الحسنى، للإمام الرازي.

٢- غاية المغنم في أسماء الله الأعظم. لابن الدريهم الموصلي.

- **كتب التاريخ:**

وقد نقل الثعالبي في تفسيرهِ بعد لنقول من كتاب للتاريخ المعنية بسير الخلفاء وهو : "لاكتفاء في أخبار الخلفاء، لعبد الملكِ بْنُ محمَّدِ بْنِ أبي القَاسِم بْن الكرديوس".

- **بعض الكتب الأخرى التي ذكرها في تفسيره:**

١. لطائف المنن، لابن عطاء الله.

٢. الأنواء، للزجاج.

٣. الإفصاح، لشبيب بن إبراهيم

٤. الكوكبِ الدُّرِّيِّ، لأبي العباس أحمد بن سَعْد التجيبي.

---

[١١] المرجع السابق: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٩٥/١

٥. الكلم الفارقية.

٦. التّشوّف، ليوسف بن يحيى التادلي.

٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر بن عبد البر.

٨. مختصر المدارك، للقضاعي.

٩. تاريخ بغداد، لأبي بكر بن الخطيب

- **منهج الثعالبي في التفسير**

أولاً: منهجه في كتابه الجواهر الحسان:

في كتاب "الإتقان"، ذكر السيوطي شروطًا يجب توافرها لدى الشخص الذي يقرر التفرغ لكتابة تفسير وشرح للقرآن الكريم. وفي هذا السياق، نقل السيوطي آراء بعض العلماء حول مسألة خوض الناس في تفسير القرآن ، فكان هناك اختلاف في وجهات النظر حيث قال بعض الأشخاص إنه لا يجوز لأي شخص[١٢]، حتى لو كان عالمًا بارعًا وملمًا بالأدب وواسع العلم في الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، أن يخوض في تفسير القرآن. وجاءت رؤية هؤلاء الأشخاص على أن يقتصر دوره على التوجه إلى ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا السياق[١٣].

وبالإضافة إلى الرأي السابق الذي يمنع بعض الأشخاص من التفسير، كان هناك من قال بأنه يجوز تفسير القرآن لمن كان جامعًا للعلوم التي يحتاجها في هذا السياق. وحسب هذا الرأي، يجب أن يكون لدى الشخص الذي يرغب في تفسير القرآن خمسة عشر علمًا، وهي:

١. اللغة

٢. النحو

٣. التصريف

٤. الاشتقاق

---

[١٢] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (١٩٧٤)، الاتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢١٣/٤.

[١٣] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٩٨/١.

٥. المعاني
٦. البيان
٧. البديع
٨. القراءات
٩. أصول الدين
١٠. أصول الفقه
١١. أسباب النزول
١٢. الناسخ والمنسوخ
١٣. علم الفقه
١٤. الأحاديث والآثار لتفصيل المجمل وتوضيح المبهم
١٥. علم الملكة (أو الموهبة)

بهذه الطريقة، يُعتبر الشخص القادر على تفسير القرآن إذا كان متخصصًا في هذه العلوم المتنوعة والمتكاملة[١٤].
في كتابه "التحبير في علم التفسير"، زاد السيوطي على العلوم المذكورة سابقًا، وذكر أيضًا أن الشخص الذي يرغب في تفسير القرآن الكريم يجب أن يبدأ بالتفسير من القرآن نفسه. فهو يشدد على أنه ينبغي للباحث في تفسير الكتاب العزيز أن يسعى لفهمه أولا من خلال القراءة والدراسة المباشرة للنص القرآني.
ومن ثم، إذا كان هناك أي تعقيد أو صعوبة، يُنصح بالرجوع إلى السنة النبوية، حيث يُعتبر السنة مصدرًا مهمًا لشرح وتوضيح مفاهيم القرآن. وبهذه الطريقة، يمكن للشخص الوصول إلى فهم أعمق وأوسع لمعاني القرآن الكريم.

[١٤] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١/٩٩.

وفي هذا السياق، قد نقل السيوطي كلام الإمام الشافعي الذي يؤكد على أهمية السنة في توضيح مفاهيم القرآن وشرحها، مما يعزز أهمية الاعتماد على مصادر متعددة لفهم النص القرءانى مما يعزز أهمية الاعتماد على مصادر متعددة لفهم عظمة القرآن ومعانيه[15].

فالمقصود هنا هو أن الإمام الثعالبي، رحمه الله، قد تمتع بمقدار كبير من الشروط والعلوم التي ذكرها أهل العلم كحدود ومراسم لمن يتولى تفسير القرآن الكريم. وقد أتى الثعالبي بفهم عميق للغة والنحو والصرف وعلوم القراءات وأصول الفقه وعلم الحديث وغيرها من العلوم الضرورية لفهم وتفسير القرآن.

إن توفر هذه الشروط والعلوم في العالم الذي يقبل على تفسير الكتاب العزيز يساعد في تأمين فهم دقيق وشامل لمعاني القرآن. وبهذا يُظهر الإمام الثعالبي كمثال على العلماء الذين استوفوا هذه المتطلبات، مما جعلهم قادرين على تقديم تفسير ممتاز وعميق للقرآن الكريم .

إذاً، يُظهر أن الإمام الثعالبي، رحمه الله، قد قام بتفسير كتاب الله العزيز باستخدام عدة مصادر ومناهج. قام بتفسير بعض آيات القرآن بالاستدلال على مفاهيم أخرى موجودة في القرآن نفسه، وذلك بمراعاة التفسير الذي قدمه النبي محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون. وفي ذلك، يعكس تمسكه بالتراث الإسلامي والفهم الصحيح للقرآن وسنة النبي، صلى الله عليه وسلم .

كما استخدم اللغة بشكل دقيق في تفسيره، وشرح الغريب وقدّم تعليقات على تصريف بعض الكلمات، وركز على مسائل الإعراب. وليس فقط قام بتفسير النصوص اللغوية، بل استعرض أيضًا مسائل في أصول الدين وأصول الفقه وفروعهما.

وفي سياق متنوع، ذكر مسائل الإسرائيليات، واستخدمها في بعض الأحيان مع الحذر من ذلك. وأيضًا اعتمد على القراءات المتواترة لتوضيح المفاهيم اللغوية والتفسيرية، ولفت إلى الشواذ منها، مما يظهر اهتمامه بالدقة والتأني في تفسير القرآن[16].

وبنى الثعالبي مادة تفسيره على عدة عناصر مهمة، منها:

---

[15] المرجع السابق، الاتقان، جلال الدين السيوطي، ٤/ ٢١٦.

[16] المرجع السابق: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١/٩٩.

التفسير بالمأثور والرأي :قام الثعالبي بدمج التفسير بالمأثور من الكتاب والسنة، مع التفسير بالرأي الذي يعتمد على الاستدلال العقلي واللغوي.

المسائل في أصول الدين :قدّم الثعالبي موادًا تفسيرية تتعلق بمسائل أصول الدين، مما يساهم في توضيح الأسس اللازمة لفهم القرآن.

أصول الفقه :شمل تفسيره مسائل أصول الفقه، مما يساهم في توجيه الفهم القرآني نحو الفقه والتشريع.

آيات الأحكام والاختلافات الفقهية :تناول آيات القرآن ذات الطابع القانوني والاحتجاج بالاختلافات الفقهية حولها.

الاحتجاج باللغة والنحو والتصريفية :قدم الثعالبي أدلة لتفسيره باستخدام اللغة والنحو والتصريف، مما يبرز دقة لغته واستدلاله.

أسباب النزول والمدني والمكي :ركز على ذكر أسباب النزول للآيات وتحديد مكّيّها ومدنيّها، مما يساعد في فهم سياق الوحي.

القراءات الواردة في الآية :قام بذكر القراءات المختلفة للآيات، ما يظهر التنوع في قراءة القرآن.

استخدام الشعر والاستشهاد به :اعتمد الثعالبي على الشعر والاستشهاد به كوسيلة لإيضاح المفاهيم وتسليط الضوء على بعض الجوانب.

موقفه من الإسرائيليات :كشف عن موقفه ورأيه حول الإسرائيليات، أي القصص والأحاديث الواردة من التراث اليهودي أو النصراني[١٧].

رابعاً: نماذج من تفسيره:

قد ذكرت فيما سبق اعتماد الثعالبي في التفسير على التفسير بالمأثور وسأوضح ملامحه مستندا على الأمثله والنماذج التالية:

١٧ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مرجع سابق ، ٩٩/١.

أولا: تفسير القرآن بالقرآن:

في سورة الفاتحة، قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ)، فقوله: اهدنا: رغبة لكونها من المربوب إلى الرب، وهكذا صيغ الأمر كلها، فإذا كانت من الأعلى، فهي أمر.

والهداية معناها في اللغة: الإرشاد، ولها وجوه متعددة أوردها المفسرون بغير لفظ الإرشاد وجميعها تدل على ذات المعنى، فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: {أولئك على هدى من ربهمل}، [البقرة: ٥] ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [النور: ٤٦]، وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء [القصص: ٥٦] فمن يرد الله أن يهديه [الأنعام: ١٢٥] الآية، فهذه الآيات هي محض الإرشاد.

وجاء الهدى بمعنى الدعاء كقوله تعالى: ولكل قوم هاد [الرعد: ٧] أي: داع، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقد اتى الهدى بمعنى الإلهام من ذلك قوله تعالى: {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}، [طه: ٥٠]، قال المفسرون: ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها.

وقد ورد الهدى بمعنى البيان من ذلك قوله تعالى: وأما ثمود فهديناهم [فصلت: ١٧] قال المفسرون: معناه: بينا لهم.قال أبو المعالي : معناه: دعوناهم، ومنه قوله تعالى: إن علينا للهدى [الليل: ١٢] ، أي: علينا أن نبين، وفي هذا كله معنى الإرشاد.

قال أبو المعالي: وجاءت الهداية، والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى طرق الجنان والموصلة إليها، كقوله تعالى في صفة المجاهدين:{ فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم} [محمد: ٤– ٥]، ومنه قوله تعالى: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم}، [الصافات: ٢٣] ، معناه: فاسلكوهم إليها.

وهذه الهداية هي التي تورد عن الدنيا، وهي ضد الضلال، وهي الواقعة في قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم}، على صحيح التأويلات، وذلك بين من لفظ «الصراط» [الشورى: ٥٢] (١٨)

في سورة الفاتحة (صراط الذين أنعمت عليهم)، [الفاتحة: ٧] قال الثعالبي: واختلف منهم المشار عليهم بأنه أنعم عليهم سبحانه وتعالى فقد أورد ابن عباس بقوله وقالوا جمهور من المفسرين أنه جلا وعلا أراد صراط

---

[١٨] الثعالبي، عبدالرحمن ب محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان، دار احياء التراث العربي،بيروت، ج١–ص١٦٦

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واستدلوا ذلك من قوله تعالى :(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) [النساء: ٦٩] (١٩)

٣-في سورة الأنعام: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام: ٨٢] قال ابن إسحاق، وابن زيد، وغيرهما: هذا قول من الله عز وجل ابتداء حكم فصل عام لوقت محاجة إبراهيم وغيره، ولكل مؤمن تقدم أو تأخر.

هذا هو البين الفصيح الذي يرتبط به معنى الآية، ويحسن رصفها، وهو خبر من الله عز وجل، ويلبسوا: معناه: يخلطوا، والظلم في هذا الموضع: الشرك تظاهرت بذلك الأحاديث الصحيحة (٢٠)

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة النبوية:

في سورة مريم قال تعالى:(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) [مريم: ٩٦] ،

وقوله تعالى: {سيجعل لهم الرحمن ودا}، قال المفسرون: أن هذا الود هو القبول الذي يضعه الله لمن يحب من عباده حسبما في الحديث الصحيح المأثور، وقال عثمان بن عفان- رضي الله عنه-: أنها بمنزلة قول النبي صلى الله عليه وسلم «من أسر سريرة ألبسه الله رداءها»[٢١].

والحديث المتقدم أصله في «الموطإ» ولفظه من: مالك، عن سهيل بن أبي صالح السمان، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله العبد قال لجبريل: يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله أحب فلانا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له القبول في الأرض» . وإذا أبغض العبد، قال مالك: لا أحسبه إلا قال في [البغض] «٤» مثل ذلك (٢٢)

في سورة الانفال قال تعالى :(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) [الأنفال: ٦٠]

---

[١٩] الثعالبي، الجواهر الحسان ج١-ص١٦٩

[٢٠] الثعالبي، الجواهر الحسان ج٢-ص٤٨٨

[٢١] أخرجه ابي داوود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، حديث رقم (٤٠٢٩)، (٣٣/٤).

٢٢ الثعالبي، الجواهر الحسان ج٤ ص ٤٠

وقوله سبحانه: وأعدوا لهم ما/ استطعتم من قوة ... الآية: المخاطبة في هذه الآية لجميع المؤمنين، وفي «صحيح مسلم» : «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»(٢٣)

سورة الروم قال تعالى :(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٣٠) [الروم: ٣٠]

وفطرت الله نصب على المصدر.

وقيل: بفعل مضمر تقديره: اتبع أو التزم فطرة الله، واختلف في الفطرة ها هنا، والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة مهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه ويؤمن به، فكأنه تعالى، قال: أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف، وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه» الحديث (٢٤)

ثالثا: تفسير القرآن بأقوال الصحابه والتابعين:

في سورة البقرة قال تعالى :(الم)

فقد اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين، فقال جماعة: هي سر الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن يؤمن بها، وتمر كما جاءت، وقال الجمهور من العلماء: بل يجب أن يتكلم فيها، ويتعرف على فوائدها، وما تشتمل عليه من معاني.

فقال علي، وابن عباس رضي الله عنهما: الحروف المقطعة في القرآن: هي اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها.

وقال ابن عباس أيضا: هي أسماء الله أقسم بها، وقال أيضا: هي حروف تدل على: أنا الله أعلم، أنا الله أرى، وقال قوم: هي حساب أبي جاد لتدل على مدة ملة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث حيي بن أخطب، وهو قول أبي العالية وغيره.

---

[٢٣] الثعالبي، الجواهر الحسان ج٣-ص ١٤٧

[٢٤] الثعالبي، الجواهر الحسان ج٤-ص ٣١٢

وإليه مال السهيلي في «الروض الأنف» ، فأنظره (٢٥)، في سورة الصافات قال تعالى:(وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) [الصافات:١٤٦]

واليقطين وهو: القرع، وقيل، كل ما لا يقوم على ساق كالبقول والقرع والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه، ومشهور اللغة أن اليقطين هو القرع (٢٦)

وفي سورة ق قال تعالى :(قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) [ق:٤] قال ع ابن عطيه: وحفظ ما تنقص الأرض إنما هو ليعود بعينه يوم القيامة، وهذا هو الحق قال ابن عباس والجمهور: المعنى: ما تنقص من لحومهم وأبشارهم وعظامهم ، وقال السدي: ما تنقص الأرض أي: ما يحصل في بطنها من موتاهم (٢٧)

رابعا: أسباب النزول:

في سورة البقرة قال تعالى :(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) [البقرة:٦]

لقد اختلف فيمن نزلت هذه الآية، بعد الاتفاق على أنها غير عامة لوجود الكفار قد أسلموا بعدها، فقال قوم: هي فيمن سبق في علم الله، أنه لا يؤمن، وقال ابن عباس: نزلت في حيي بن أخطب، وأبي ياسر بن أخطب، وكعب بن الأشرف ، ونظرائهم (٢٨)

في سورة ال عمران قال تعال :(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) [ال عمران:١٨٨]

فقد ذهبت جماعة إلى أن الآية في المنافقين، وقالت جماعة كبيرة: إنما نزلت في أهل الكتاب أحبار/ اليهود، وقيل أن الآية في اليهود، فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم من النبوة والكتاب، فهم يقولون: نحن على طريقهم، ويحبون أن يحمدوا بذلك، وهم ليسوا على طريقهم (٢٩)

---

[٢٥] الثعالبي، الجواهر الحسان ج١-ص١٨٠

[٢٦] الثعالبي، الجواهر الحسان ج٥-ص٤٩

[٢٧] الثعالبي، الجواهر الحسان ج٥ ص ٢٨١

[٢٨] الثعالبي، الجواهر الحسان ج١-ص١٨٥

[٢٩] الثعالبي، الجواهر الحسان ج٢-ص١٤٨

في سورة النساء قال تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣) [النساء :٣]

قيل أن: خفتم هاهنا بمعنى أيقنتم، وما قاله غير صحيح، ولا يكون الخوف بمعنى اليقين بوجه، وإنما هو من أفعال التوقع، إلا أنه قد يميل فيه الظن إلى إحدى الجهتين قلت: وكذا رد الداوودي على أبي عبيدة، ولفظه: وقيل: فإن خفتم ألا تعدلوا: مجازه: أيقنتم، قال أبو جعفر: بل هو على ظاهر الكلمة.

وتقسطوا: معناه: تعدلوا يقال: أقسط الرجل إذا عدل، وقسط إذا جار قالت عائشة (رضي الله عنها) : نزلت في الأولياء لليتامى لمن يعجبون بولايتهم عليهم، فيبخسون بهم في مهورهن، فقيل لهم: اقسطوا في مهورهن، فمن خاف ألا يقسط، فليتزوج ما طاب له من الأجنبيات اللواتي يكايسن في حقوقهن، وقيل أن معنى: ما طاب: ما حل. (٣٠)

خامسا: الناسخ والمنسوخ:

في سورة البقرة قال تعالى :(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) [البقرة:١١٤]

في قوله تعالى:" فول وجهك": أمر بالتحول، ونسخ لقبلة الشام، وشطر: نصب على الظرف، ومعناه: نحو، وتلقاء، وحيث ما كنتم فولوا: أمر (٣١)

وفي سورة البقرة قال تعالى:(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) [البقرة:١٨٠]

وقوله تعالى: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت": كتب: معناه: فرض وأثبت، وفي قوله تعالى: إذا حضر مجاز لأن المعنى: إذا تخوف وحضرت علاماته.

والخير هنا هو المال، واختلف في هذه الآية، هل هي محكمة، أو منســـوخة، فقال ابن عباس، وقتادة، والحسن: الآية عامة، وتقرر الحكم بها برهة، ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض، وقال بعض العلماء: إن

---

[٣٠] الثعالبي، الجواهر الحسان ج٢ص١٦٢

[٣١] الثعالبي، الجواهر الحسان ج١-ص٣٢٩

الناسخ لهذه الآية هي السنة المتواترة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث». (٣٢)

في سورة البقرة قال تعالى : (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم (٢١٥) [البقرة:٢١٥]

قيل أنها في الزكاة المفروضة، وعلى هذا نسخ منها الوالدان، وقيل: نزلت قبل فرض الزكاة، ثم نسختها آية الزكاة المفروضة، وقيل: هي ندب، والزكاة غير هذا الإنفاق، وعلى هذا لا نسخ فيها.

وما تفعلوا جزم بالشرط، والجواب في الفاء، وظاهر الآية الخبر، وهي تتضمن الوعد بالمجازات، وكتب: معناه فرض واستمر الإجماع على أن الجهاد على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية (٣٣)

سادسا: توجية القراءات:

في سورة البقرة قال تعالى :(فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦) [البقرة:٣٦]، وفأزلهما: مأخوذ من الزلل، وهو في الآية مجاز عن الرأي، وإنما حقيقة الزلل في القدم، وقرأ حمزة: «فأزالهما» مأخوذ من الزوال، ولا خلاف بين العلماء أن في أن إبليس هو زلل آدم، ولكن المختلف فيه هو الكيفية.

وقالت طائفة: إن إبليس لم يدخل الجنة بعد أن أخرج منها، وإنما أغوى آدم بشيطانه، وسلطانه، ووساوسه التي أعطاه الله تعالى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم/»

ت: وإلى هذا القول من المازري في بعض أجوبته، ومن ابتلي بشيء من وسوسة هذا اللعين فأعظم الأدوية له الثقة بالله، والتعوذ به، والإعراض عن هذا اللعين، وعدم الالتفات إليه. (٣٤)

في سورة البقرة قال تعالى:(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة:٦٢] وقوله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ... الآية. والصابئين: قرأ الأكثر بالهمز صبأ النجم، والسن، إذا خرج، أي: خرجوا

---

[٣٢] الثعالبي، الجواهر الحسان ج١-ص٣٧٠

[٣٣] الثعالبي، الجواهر الحسان ج١-ص٤٣٤

[٣٤] الثعالبي، الجواهر الحسان ج١-ص٢١٨

من دين مشهور إلى غيره، وقرأ نافع «٣» بغير همز، فيحتمل أن يكون من المهموز المسهل، فيكون بمعنى الأول، ويحتمل أن يكون من صبا غير مهموز، أي: مال ومنه: [الهزج] (٣٥) في سورة الأنفال قال تعالى:(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) [الأنفال:١١]

وقوله سبحانه: إذ يغشيكم النعاس أمنة منه. القصد تعديد نعمه سبحانه على المؤمنين في يوم بدر، والتقدير: اذكروا إذ فعلنا بكم كذا، وإذ فعلنا كذا، والعامل في «إذ» «اذكروا» وقرأ نافع: «يغشيكم» – بضم الياء، وسكون الغين– وقرأ حمزة وغيره: يغشيكم– بفتح الغين وشد الشين المكسورة، وقرأ ابن كثير وغيره: «يغشاكم» – بفتح الياء وألف بعد الشين– «النعاس» بالرفع، ومعنى يغشيكم: يغطيكم، والنعاس أخف النوم، وهو الذي يصيب الإنسان، وهو واقف أو ماش، وينص على ذلك قصص هذه الآية أنهم إنما كان بهم خفق بالرؤوس(٣٦).

و في سورة الأنفال قال تعالى :(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) [الأنفال:٢٥] وقوله: عز وجل: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم)، ففيها تأويل، أسبقها إلى النفس، أن الله سبحانه حذر جميع المؤمنين من فتنة إن أصابت لم تخص الظلمة فقط، بل تصيب الكل من ظالم وبريء، وهذا تأويل الزبير بن العوام، والحسن البصري، ومنها تأويل ابن عباس فإنه قال: أمر الله المؤمنين في هذه الآية ألا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم العذاب وخاصة: نعت لمصدر محذوف، تقديره إصابة خاصة، فهي نصب على الحال[٣٧].

ثانياً: التفسير بالرأي

منهج بن عرفة في تفسيره

أولاً: تعريف للمؤلف

هو أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي المتوفى ولد ومات بتونس سنة ٨٠٣هـ ، عالم وخطيب وإمام تونس في زمانه نسبته إلى قرية بإفريقية (ورغمّة) من كتبه المختصر الكبير في فقه المالكية، و المختصر الشامل

---

٣٥ الثعالبي، الجواهر الحسان ج١–ص٢٥٢

٣٦ الثعالبي، الجواهر الحسان ج٣-ص١١٨

٣٧ الثعالبي، الجواهر الحسان ج٣ص١٢٥

في التوحيد، و مختصر الفرائض و المبسوط في الفقه سبعة مجلدات، قال السخاوي عنه: شديد الغموض، والطرق الواضحة في عمل المناصحة والحدود في التعاريف الفقهية. [٣٨].

ثانياً: التعريف بالتفسير

وتفسير ابن عرفة هي تقيد تلاميذه من مجالسه وجمعه لها واشتهر منها رواية البسيلي وهو أحمد بن محمد أبو العباس التونسي [٣٩]

ثالثاً: منهجه في التفسير:

وقد وضح ابن عاشور طريقة ابن عرفه في تفسيره بقوله:

"ويهتم بالتخريج والتأويل حتى تتضح دلالة الآية مستقيمة على المعنى الذي تتعلق به، ويرد ما عسى أن يكون قد وقع من تخريج بعيد أو تأويل غير مقبول، بتطبيق القواعد اللغوية، والنكت البلاغية، أو بإثارة ما يتعلق بالمفاد من مباحث أصلية ترجع إلى أصول الدين أو أصول الفقه، جاعلا عمدته في هذه المباحث تفسير ابن عطية غير معرض عن تفسير الكشاف، فيعتبر كلام ابن عطية حاصلا بين أيدي مستمعيه، ليسايره أو يرده ويورد كلام الزمخشري ويكثر إيراد الآراء والمذاهب عن العلماء في كل مسألة "[٤٠]

رابعاً: نماذج من تفسيره

❖ **يذكر ابن عرفة وجه مناسبة الآية لما قبلها ويوضح ووجه اتصال الآية بما قبلها، وسياقها ، ومن ذلك:**

قوله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (١٣٣)}، وهو دليل على وجوب اتصافه على صفتي الإرادة والقدرة، ووده المناسبة لما قبلها أنه لما تقدمها ، قوله تعالى: **(وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا)** وتضمنت وكيل على الأشياء كلها، جاءت هذه كالدليل عقبها في أنه القادر على الإعدام والإيجاد [٤١]

قوله تعالى: {وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ... (٣٤)}، قال ابن عرفة: وجه مناسبتها لما قبلها عندي أن الإنسان إذا استحضر مقام التوحيد علم أن الأشياء كلها خلق الله تعالى وفعله واختراعه، قيل لابن عرفة: قد يحتج بها من يمنع النسخ في القرآن، فقال: النسخ بحقيقة؛ لأن المنسوخ لم يزل ثابتا في الذهن فلم ينسخ من جميع الوجوه،

---

[٣٨] الأعلام للزركلي ،(٤٣/٧)

[٣٩] اتجاهات التفسير وسيلة بلعيد رسالة دكتوراه (٢٨٨)، ابن عاشور ، التفسير ورجاله (٩٨)

[٤٠] الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله (١٠٥) مجمع البحوث الكتاب الثالث عشر ١٩٧٠

[٤١] ابن عرفه (٦٠/٢)

قيل له: فاليهود بدلوا وغيروا في التوراة، يقال: بدلوا ألفاظها، وأما معناها وهو الكلام القديم الأزلي فلم يقع فيه تبديل بوجه[٤٢]

❖ **تفسير القرآن بالقرآن**

إن ابن عرفه يجمع الألفاظ المتشابه في الآيات فيفسر لفظة الظلم مستشهدا بالآيات التي وردت فيها اللفظة **قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ الله أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسمه }، وقال في آية أخرى: {مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ الله} وقال في سورة الزمر {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ علَى الله وَكَذَّبَ بالصدق إِذْ جَآءَهُ}** فالجمع بين الآيتين يقتضي تساويهما في الظلم، لكن قام الدليل على أن مفتري الكذب على الله أشد ظلما ممن منع مساجد الله من ذكر الله فيها[٤٣]

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)} البقرة، وقوله تعالى: **{فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحق ... }**

قال ابن عرفة: الحق في القرآن كثيرا كقوله تعالى: **{مَا خَلَقْنَا السماوات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بالحق}** فمن يفهمه على ظاهره يعتزل لأن مذهب المعتزلة مراعاة الأصلح على قاعدة التحسين والتقبيح، فالصواب أن يقال في تفسير «الحق» هو الأمر الثابت في نفس الأمر الذي دل الدليل الشرعي على ثبوته، أو يقال: (إنما هو) الثابت بدليل شرعي، أو مدلول الكلام القديم الأزلي.

قال ابن العربي في شرح الأسماء الحسنى: الحق في اللغة هو الموجودُ ويعم الاعتقاد والقول والعمل ثم قال: والمختار أن الحق ما له فائدة مقصودة، والباطل (ضده) سواء كان (موجودا) أو معدوما قال تعالى: {مَا خَلَقْنَا السماوات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بالحق} أي لفائدة مقصودة وهي الثواب والعقاب لقوله تعالى: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً} وقوله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً} [٤٤]

❖ **تفسير القرآن بالسنة:**

---

[٤٢]ابن عرفه (١٥١/٢)
[٤٣]ابن عرفه (٤٠٠/١)
[٤٤] ابن عرفه(٨١/١)

اورد **في قوله تعالى: (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)**، حيث جاء في حديث القدر تفسير الإحسان فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وفسره الله تعالى في أول سورة لقمان، فقال (هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) .. فهو في الحديث أخص. [٤٥]

وكذلك استشهد في قوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ الله ... }.، الإشارة (راجعة) إلى الأحكام أو إلى النواهي المتقدمة، ومنه قوله تعالى: {فَلاَ تَقْرَبُوهَا ... }، فقد جاء في الحديث النهى عن القرب النواهي «الراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[٤٦]

❖ **أسباب النزول:**

قوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله أموات ... }، ان قلت: هلا قيل: لمن قتل في سبيل الله بلفظ الماضي؟ قال أجيب عنه بوجهين: - الأول: أن ابن عطية قال: سبب نزولها أن الناس قالوا فيمن قتلوا ببدر وأحد مات فلان وفلان فكره الله تعالى أن يحط منزلة الشهداء إلى منزلة غيرهم فنزلت الآية. وغزوة بدر وأحد هما أعظم الغزوات وما بعدهما من الغزوات دونهما بلا شك فلو كان الفعل ماضيا لتوهم خصوصية هذه الفضيلة بمن قتل في الغزوتين فقط فأتى به مضارعا ليدل على عمومها فيمن بعدهم وفيهم من باب أحرى.

- الثاني: لو قال: «قتل» لكان فيه إيحاش ووصم عليهم لأنهم كانوا (متأسفين) على من قتل منهم فيتذكرونهم بهذا ويزداد حزنهم عليهم، ولا يقال: قتل فلان غالبا إلا فيمن يفتجع عليه أو يفرح لموته فيقال: لِمَنْ يُقْتَلُ، ليعم على من يأتي ومن مضى ويسلم من هذا الإيحاش.

وأحد هما أعظم الغزوات وما بعدهما من الغزوات دونهما بلا شك فلو كان الفعل ماضيا لتوهم خصوصية هذه الفضيلة بمن قتل في الغزوتين فقط فأتى به مضارعا ليدل على عمومها فيمن بعدهم وفيهم من باب أحرى.

- الثاني: لو قال: «قتل» لكان فيه إيحاش ووصم عليهم لأنهم كانوا (متأسفين) على من قتل منهم فيتذكرونهم بهذا ويزداد حزنهم عليهم، ولا يقال: قتل فلان غالبا إلا فيمن يفتجع عليه أو يفرح لموته فيقال: لِمَنْ يُقْتَلُ، ليعم على من يأتي ومن مضى ويسلم من هذا الإيحاش [٤٧].

---

(٤٥)ابن عرفه(١٢٢/٢)
(٤٦)ابن عرفه(٢٢٨/١)
(٤٧)ابن عرفه(١٨٧/١)

ومنه قوله تعالى: {فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أنى شِئْتُمْ ... }، قال ابن عرفة: هذا أمر، فإن قلنا: إنّ سبب نزولها ما ذكره المفسّرون عن أم سلمة من أن قريشا كانوا يأتون على النساء على هيئات مختلفة، فلما تزوجوا الأنصار أرادوا ذلك فامتنعن منه، فنزلت الآية [٤٨]

❖ **موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف**

ومن استشهاد ابن عرفة على ما أثر عن الصحابة:

قوله تعالى: {وَعَهِدْنَآ إلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والعاكفين والركع السجود}.

فالطائفون أهل الطواف، وقيل: هم الغرباء الطارئون على مكة والعاكفون أهل البلد المقيمون. وقيل: المجاورون بمكة الذين عكفوا بها فأقاموا لا يبرحون، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما: المصلون وعن غيره المعتكفون، قال الزمخشري: المعتكفون الواقفون يعني القيام في الصلاة، قال ابن عرفة: وقدم الطائفين لقرب الطواف من البيت (واختصاصه) به والعكوف في سائر البلد [٤٩]

ومنه قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السماوات والأرض ... }، قال ابن عرفة: تقدمها آية النبوة والرسالة في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ} وآية الوحدانية في قوله تعالى {وإلهكم إله وَاحِدٌ} فيحتمل أن يكون دليلا لهذه أو هذه، قال ابن عطية: / عن عطاء: قال لما نزلت الآية المقدسة بالمدينة، قال كفار قريش بمكة: ما الدّليل على هذا وما آيته وما علامته؟ فطلبوا دلالة الوحدانية فنزلت هذه الآية[٥٠]

❖ **موقفه من القراءات**

وظهر هذا في آيات في تفسيره للآيات القرآنية منها: قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ)، فقد قرئت بفتح الهمزة وكسرها، فهو بالكسر مصدر، وبالفتح جمع سر، والمصدر أبلغ لأن علم المعنى يستلزم علم اللفظ المعبر به عن [ذلك*] المعنى [٥١]

---

(٤٨)ابن عرفه(٢٧٠/١)
(٤٩)ابن عرفه(١٦٨/١)
(٥٠)ابن عرفه(١٩٦/١)
(٥١)ابن عرفه(٢٨/٤)

وقوله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ}**، قرئ [(يُغَلَّ)، وهو من الغلول، بمعنى الخيانة في الغنيمة وغيرها، وقرئ (يَغُلَّ)] وهو من غل يغل، وهو من الغل، بمعنى الحسد والحقد [٥٢]

❖ **موقفه من الفقه والأصول:**

فقوله تعالى: {ثَلَاثَةَ قروء ... }، مشترك بين الطّهر والحيض، والشافعي يقول: الأقراء هنا الحيض. ومالك: قال للأطهار، والقرء في اللغة الجمع.

قيل لابن عرفة: كنتَ قلتَ لنا: إن هذا ليس من ذلك لأن الجمع من قريت الماء في الحوض غير مهموز، والقرء مهموز. وقلت لنا: الصحيح أنه للقدر المشترك وهو براءة الرحم؟

قال ابن عرفة والظّاهر في لفظ الآية أن الأقراء الحيض، لأن التربص هو الانتظار، والانتظار يقتضي (أقراء مستقبلة)، وقد أمر الشارع بالطلاق في طهر لم تمس فيه، فاذا طلقها طاهرا، فان قلنا: إن الأقراء: الحيض، صح الانتظار، وان قلنا: الاطهار، لم يستقم إسناد الانتظار إليها لأن (القرء) الأول حاصل في الحال. فلا (يقال) له: انتظره. وأجيب: بأنّ الانتظار أسند لمجموع الثلاثة أطهار [٥٣]

ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ)، وهو على حذف الموصوف أي وإن كنتم جنبا من مَنيٍّ أو على سفر، ويكون قوله تعالى: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الْغَائِطِ) معطوف على الموصوف المقدر، أي وإن كنتم ذوي جنابة أو ذوي غائط أو ملامسة مرضى أو على سفر ولم تجدوا ماء فتيمموا ولا يكون فيه تقديم ولا تأخير، كما قال ابن يونس: بل فيها حذف المعطوف عليه الموصوف وأقيمت صفة مقامه وهي صفة الثاني فالتقدير: وإن كنتم جنبا (مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا) فالأول بيان لحالة حدثه.

قال ابن عرفة: وفقدان الماء إما حسي حقيقة، وإما معنوي مجازا فيجده ولا يجد من يناوله إياه، أو يجده ويمنعه منه خوف لصوص، أو فيجده في البئر ويخاف فوات الوقت إن استعمله[٥٤]

ومنه قوله تعالى :(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) الأنفال:١٣، قال ابن عرفة: واستدل الأصوليون بهذه الآية على أن الإجماع حجة [٥٥]

---

(٥٢)ابن عرفه(٤٣٨/١)
(٥٣)ابن عرفه(٢٧٤/١)
(٥٤)ابن عرفه(٢٨/٢)
(٥٥) ابن عرفه(٢٨١/٢)

❖ **موقفه من اللغة:**

لقد اعطى ابن عرفة اهتماما بالغا باللغة ومن ذلك وضع الحروف في الجملة القرآنية في بيان المعنى، ومن ذلك قوله: **قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**، فالألف واللام إما للجنس وهو عام مخصوص او للعهد .فإذا كان للجنس فهو باق مطلق في الأزمنة والأشخاص والأحوال كخالد بن الوليد فإنه كان حينئذ كافرا ثم أسلم بعد ذلك، فهو يلزمك تحصيل الحاصل إن الله لَا يهدي القوم الكافرين، أو تكون للعهد، والمراد بها من علم الله أنه لا يؤمن(٥٦)

وفي قوله تعالى {ذهب الله بنورهم}، قال ابن عرفه موضحا الباء شارحا له موضح تصويره للمعنى وفي التعدية بالباء التي للمصاحبة نوع زيادة وإشعار بدوام الذهاب، وملازمته بسبب ملازمة فاعل الذهاب له، فلا يزال ذاهبا عنهم، فهو أشد في عقوبتهم حتى لا يتصور رجوعه إليهم بوجه. (٥٧)

وفي **قوله تعالى :{وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ}** وفي الآية المتشابهة **{وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ}** فأخّر الفداء بالمال هنا عن الشفاعة وقدمه في الآية الثانية.

ويقول الخطيب: بأنّ ذلك على حسب حال الناس فواحد يرغب في المال ويشح به فيأتي بالشفيع، والثاني يرغب في الجاه والحرمة فيهون عليه بذل المال صيانة لحرمته، وأجاب الفقيه أبو جعفر أحمد بن ابراهيم (ابن الزبير) العاصمي الثقفي بأن هذه الآية تقدمها {أَتَأْمُرُونَ الناس بالبر} مظنة الامتثال والقبول فيكون مظنة لترجي الأمرين بالبر، (وأن يشفع) فيهم يوم القيامة من امتثل أمرهم ألا ترى قوله تعالى في المنافقين {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} فقد نسبوا المؤمنين بالكون معهم فأحرى أن يتعلق هؤلاء بالحظ على الخير والدلالة عليه فكان الآكد هنا نفي الشفاعة، فبدأ به ولم يتقدم في الآية الأخرى ما يستدعي هذا فبدأ بالفدية التي عهد في الدنيا أنها أمكن في التّخلص. (٥٨)

وأورد أسلوب الالتفات في **قوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ)**، فهذا التفات، فإن قلت: ما فائدة الالتفات هنا في الانتقال من الغيبة إلى المتكلم، قلنا: فائدته أن هذا الباب أعجب وأغرب من الأول ففيه رد على

---

(٥٦)ابن عرفه(١١٦/٢)
(٥٧)ابن عرفه(٦٠/١)
(٥٨)ابن عرفه(١١٠/١)

[الطبائعيين] إذ لو كانت هذه الأشياء أصل بالطبيعة لكان الشجر المسقي بالماء الحلو حلو أكله، والمسقي بالماء المالح مالحا أكله (٥٩)

منهج الخطيب في تيسير البيان لأحكام القرآن

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب، أبو عبد الله، الشهير بابن نور الدين، ويعرف بالموزعي: مفسر، عالم بالأصول – قال السخاوي: جرت له مع صوفية وقته أمور بان فيها فضله. له (تيسير البيان لأحكام القرآن – خ) المجلد الأول منه بالبصرة. في ٥٠٠ صفحة، فرغ من تأليفه سنة ٨٠٨ والموزعي نسبة إلى (موزع) كمجمع، قرية كبيرة باليمن على طريق الحاج من عدن **(ت: ٨٢٥ هـ)** (٦٠)

محمد بن علي بن نور الدين أبو عبد الله الموزعي الإمام الأصولي ويعرف بابن نور الدين. مات في حدود العشرين وجرت له مع صوفية وقته أمور بان فيها فضله (٦١)

ثانياً: منهجه في تفسيره:

قد بدأ المؤلف –رحمه الله– كتابه هذا بمقدمة أصولية قيمة، ضمت مباحث نافعة وفوائد ماتعة، شملت معظم أبواب أصول الفقه، وهي مقدمة مختصرة حقيقةٌ بالحفظ والدراسة.

ثم شرع في شرح آيات الأحكام حسب التسلسل القرآني للسور والآيات، فيبدأ بشرح غريب الألفاظ منها، ثم يستنبط الأحكام الفقهية، ويذكر مسائل الخلاف بنسبة كل قول إلى قائله، وذكر المأثور عن النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة رضي الله عنهم، وعن التابعين وغيرهم، ثم يرجح ما يراه راجحا من الأقوال حسب ما يؤديه إليه اجتهاده معتمدا على المعقول والمنقول في المناقشة والترجيح.

وقد استقل –رحمه الله– في تقرير المسائل، واختار طريقة تدل على قدمه في هذا الباب لسوقها، وانتهج منهجا متميزا في الاستدلال والترجيح (٦٢)

ثالثاً: نماذج من تفسيره:

---

(٥٩)ابن عرفه(١٧٦/٢)
(٦٠) الأعلام للزركلي (٦/ ٢٨٧)
(٦١)الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/ ٢٢٣)
(٦٢)تيسير البيان لأحكام القرآن (مقدمة/ ٢٤)

النموذج الأول:

قوله جل جلاله: {وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين} [البقرة: ٢٤١].

فلفظ هذه الآية عام في إيجاب المتعة لكل مطلقة، سواء كانت مدخولا بها، أو لا، طلقت قبل الفرض والمسيس، أو بعد الفرض وقبل المسيس.

والمطلقة قبل الفرض والمسيس مرادة في العموم، وأنها غير داخلة في العموم، إلا على قول بعض أهل الظاهر، ومثلها التي طلقت قبل المسيس، وكان قد سمي لها مهر صحيح؛ لعدم الفرق بينهما، وبقي حكم المدخول بها.

وقد اختلف أهل العلم في إيجاب المتعة لها:

فقال عمر، وعلي، والحسن بن علي، وابن عمر، والقاسم بن محمد وابن شهاب، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، والحسن -رضي الله تعالى عنهم-: لها المتعة؛ لهذه الآية، ولقوله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا} [الأحزاب: ٢٨]، وأزواجه - صلى الله عليه وسلم - مدخول بهن.

وبهذا قال الشافعي في الجديد، وكذا أحمد في إحدى الروايتين، وبه قال الخطيب.

- وقال أبو حنيفة، والشافعي في القديم: لا متعة لها؛ قياسا على المفروض لها، وهذا فاسد، لأنه لا يجوز قياس المدخول بها على غير المدخول بها، ولا يجوز القياس مع وجود النص، فإن قيل: النص في إمتاعه - صلى الله عليه وسلم - خاص به.

قلنا: دعوى التخصيص بغير دليل مردودة، بدليل حديث أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- الذي قدمته في تقبيل الصائم، فإن قيل: محمول على الاستحباب.

قلنا: خلاف الظاهر، بدليل قوله تعالى: {وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين} [البقرة: ٢٤١]. [٦٣]

فقد توسع الموزعي في عرض المسألة وذكر أقوال المذاهب ورجح بناء على الدليل وقد صرح حين قال وبه أقول .

النموذج الثاني:

(٦٣)تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/ ١٤١-١٤٢)

قوله جل جلاله: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم} [البقرة: ٢٤٠].

فرض الله سبحانه في هذه الآية في المتوفى عنها زوجها، حكمين: وهما: وجوب التربص حولا كاملا، وجوب الوصية بالمتاع إلى آخر ما أوجب عليها من المدة، والمتاع يقع على النفقة والكسوة والسكنى.

ثم بين الله سبحانه أنها إذا خرجت من المنزل وأبطلت حقها، فلا جناح على الوارث في ترك النفقة، ففهم من هذا أن النفقة تابعة للسكنى كما وجبت للزوجة وللرجعية.

والخروج قد يكون جائز، والعدة للتخيير، بدليل قوله تعالى: {في ما فعلن في أنفسهن من معروف} [البقرة: ٢٤٠].

ودلنا هذا على أن كل من وجب له حق، ثم تركه، فلا جناح عليه، فقد اتفق أهل العلم بالقرآن على أن الحول منسوخ بالآية الأولى، روينا في "صحيح البخاري" عن ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان –رضي الله تعالى عنه–: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا} [البقرة: ٢٤٠] قد نسختها الأخرى، فلم تكتبها، أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي! لا أغير شيئا من مكانه.

وروينا فيه أيضا عن أبي نجيح عن مجاهد: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا} [البقرة: ٢٣٤] قال: كانت هذه العدة عند أهل زوجها واجب، فأنزل الله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف} قال: جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة، وصية، إن شاءت سكنت في وصيتها، إن شاءت خرجت، وهو قول الله عز وجل: {غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم}، فالعدة كما هي واجب عليها.

وكلام مجاهد هذا يقتضي أن هذه الآية نزلت بعد الأولى، فهي بعدها في النزول، كما هي بعدها في الترتيب، وأن الأربعة الأشهر والعشر حتم، وأن ما زاد عليها إلى تمام الحول مشروع على التخيير، لم ينسخ، فهذه الآية إما ناسخة لحتم الآية الأولى، أو مبينة لما زاد من تمام السنة بعد الحتم.

قال ابن عباس في رواية عكرمة: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج} [البقرة: ٢٤٠]، فنسخ ذلك بآية الميراث بما فرض الله لهن من الربع أو الثمن، ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشرا.

وكلام ابن عباس هذا يحتمل أن يدل على نسخ السكنى، قال عطاء: ثم جاء الميراث، فنسخ السكنى، فتعتد حيث شاءت، ولا سكنى لها.

ويحتمل أن يكون النسخ خاصا بالمتاع دون السكنى، ويدل له ما روى مالك عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب: أن الفريعة بنت مالك بن سنان أخبرتها: أنها دخلت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة؛ فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا، حتى إذا كان بطرف، القدوم، لحقهم، فقتلوه، فسألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة؛ فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه، ولا نفقة، قال: فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "نعم"، قالت: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، أو أمر بي فنوديت، فقال: "كيف قلت؟ "، فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، فقال: "امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله"، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا، قالت: فلما كان عثمان بن عفان، أرسل إلي، فسألني عن ذلك، فأخبرته، فاتبعه، وقضى به."[٦٤]

وقال الشافعي: ثم حفظت عمن أرضى من أهل العلم: أن نفقة المتوفى عنها زوجها وكسوتها حولا منسوخة بآية الميراث، ولم أعلم مخالفا فيما وصفت من نسخ نفقة المتوفى عنها زوجها وكسوتها سنة أو أقل من سنة.

ثم قال: ثم احتمل سكناها إذا كان مذكورا مع نفقتها بأنه يقع عليه اسم المتاع أن يكون منسوخا في السنة وأقل منها، كما كانت النفقة والكسوة منسوختين في السنة وأقل منها، واحتملت أن تكون نسخت في السنة، وأثبتت في عدة المتوفى عنها حتى تنقضي بآخر هذه الآية، يعني قوله: {غير إخراج} [البقرة: ٢٤٠]، وأن تكون داخلة في جملة المعتدات؛ فإن الله تعالى يقول في المطلقات: {لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة} [الطلاق: ١]، فلما فرض الله سبحانه في المتعدة من الطلاق السكنى، وكانت المعتدة من الوفاة في معناها، احتملت أن يكون جعل لها السكنى، لأنها في معنى المعتدات، فإن كان هذا هكذا، فالسكنى لها في الكتاب منصوص، أو في معنى من نص لها السكنى، وإن لم يكن هذا، ففرض السكنى لها في السنة.

وهذا أصح قوليه، واختاره الخطيب، لأن السكنى ثابتة في الكتاب، فلا يجوز نسخها بالاحتمال و التجويز لأجل نسخ ما جاورها من الأحكام، فنسخ المدة من حول إلى ما دونه لا يدل على نسخ السكنى فيما دون الحول،

[٦٤] أخرجه ابي داوود في سننه، كتاب الطلا، باب المتوفي عنها تنتقل، حديث رقم (٢٣٠٠)، (٢٩١/٢).

ونسخ المتاع بأية الميراث يحتمل أن تعود الإشارة في قوله: فنسخ ذلك إلى المتاع دون الإخراج، ويحتمل أن يعود إلى المتاع والإخراج، ولكن الاحتمال الأول متعين؛ لحديث الفريعة بنت مالك.

وروي عن علي –رضي الله تعالى عنه–: أنه كان يرحل المتوفى عنها، لا ينتظر لها، ونقل أم كلثوم بعد قتل عمر بسبع، ليال[٦٥].

وعن عائشة: أنها كانت ترحل المرأة وهي في عدتها من وفاة زوجها وبه قال أهل الظاهر، وعطاء، والحسن، ويروى عن ابن عباس، وجابر، رضي الله تعالى عنهم[٦٦]

النموذج الثالث:

قوله تعالى: {إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير}: [البقرة: ٢٧١].

فضل الله سبحانه في هذه الآية الإخفاء في الصدقة على الإبداءلها، وهذا في صدقة التطوع وقيل عن صدقة الفرض أن الإظهار لها أفضل من إخفائه .

وفيها دليل على جواز الصدقة على الأغنياء، وذلك جائز في التطوع بدليل حديث: "إذا تصدق على غني وهو لا يعلم".[٦٧]

فقد أجاز الله في هذه الآية الصدقة على الكافر، وهو جائز في التطوع، وأما الفرض، فلا يجوز صرفه إلى الكافر فقد اجمع عليه المفسرين؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم –: "أمرت أن آخذ الزكاة من أغنيائكم، وأردها على فقرائكم"[٦٨] [٦٩]

[٦٥] البيهقي، أبو بكر بن الحسين، معرفة السنن والآثار، حديث رقم (١٤٣١٦).
([٦٦])تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/ ١٣٢-١٣٩)
[٦٧] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، حديث رقم (١٠٢٢)، (٢/٧٠٩).
([٦٨])رواه البخاري (١٣٣١)، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة
([٦٩])تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/ ١٤٦)

منهج برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٥٥هـ في تفسيره

أولاً: تعريف المؤلف

هو أبي الحسن الخرباوي البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط ابن عليّ بن أبي بكر برهان الدّين وكانت وفاته في سنة ٨٥٥هـ ودفن بالحمرية خارج دمشق من جهة قبر عاتكة من طبقات الضّوء اللامع للسخاوي وتفصيل مناقبه مذكور فيه، وله كتاب نظم الدّرر في تناسب الآي والسور لطيف الحجم يتعلّق بعلم التّفسير قال العلامة الإمام السّيوطيّ هو مؤلف لم يسبقه إليه أحد جمع فيه من أسرار القرآن العظيم ما تتحير منه وقد كتب فيه مبدأ المخلوقات والمصاعد النظرية والبسيطات العلوية وغيرها [٧٠]

ثانياً: طريقة المفسر في تفسيره

١- الاهتمام ببيان مقصودة كل سوره وهدفها مع بداية تفسيره لكل سوره

٢- تفسير البسملة بما يناسب كل سوره مع مقصود السورة

٣- اهتمامه ببيان المناسبات بين السور والآيات والجمل وكلماتها

٤- يورد التفسير بالمأثور ويستشهد به والسنه واقوال الصحابة

٥- يمعن التفسير في العقيدة وبيانها

٦- يظهر الجواب اللغوية والبلاغية ويفسرها

٧- يوجه القراءات ويهتم بها [٧١]

ثالثاً: نماذج من تفسيره:

❖ **مقصود السورة في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور من (٢٢/ ١٧٦)**

مقصدها تفصيل الأمر الذي هو أحد قسمي ما ضمنه مقصود " اقرأ " وعلى ذلك دل اسمها لأن الليلة فضلت به، فهو من إطلاق المسبب على السبب، وهو دليل لمن يقول باعتبار تفضيل الأوقات لأجل ما كان فيها ،

---

(٧٠) طبقات المفسرين (٣٤٧)

(٧١) ابراهيم ، محمد بحيري ،الجامعة الإسلامية ،مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في المدينه ، عدد ١ ، سنة ١٩٨٢

ومن ثم يقسر البسملة بقوله (بسم الله) الذي جل أمره وتنزه ذاته (الرحمن) الذي عمت رحمته فبدعت صفاته (الرحيم) الذي خص أهل التوحيد بإتمام النعمة فاختصت بهم جناته. [٧٢]

❖ المناسبة بين السور في الآيات والسور من (١١/ ٢٨٧)

لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص، والاتصاف بالكمال المنتج لأنه لقدرته على الأمور الهائلة، ومنها: أنه جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب، وختمها بعد تفضيل إبراهيم عليه السلام والأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه – مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم – على أعدائه على كثرتهم وقوتهم، وكان ذلك من خوارق العادات ، ثم أمرهم بالتأني والإحسان، فافتتح هذه بما خرقه من العادة في الإسراء، وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك، تنبيهاً على أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة في أسرع وقت، دفعاً لما قد يتوهم أو يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال وأمره بالصبر، وبياناً [٧٣]

❖ اهتمامه بالفقه

١–في تفسيره قوله تعالى : يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا): [الطلاق : ١].

يقول في نظم الدرر: إن التعبير في النداء بأداة التوسط التي لا تذكر في أمر مهم جدا، والقصد هو التنبيه لجلالة هذه الأحكام، وبذل الجهد في تفهيمها والعمل بها، فقال معبرا بأداة التحقق لأنه من أعظم مواضعها: فقوله: {إذا طلقتم} علم منها عموم الحكم له صلى الله عليه وسلم، لكن لما كان للإنسان مع نسائه حالان أحدهما المشاحة[٧٤]، كان غيره أولى بالخطاب فيه، وثانيهما الجود والمصالحة بالحلم والعفو، فكان هو صلى الله عليه وسلم أولى بذلك فجاءت له سورة التحريم، وقوله: {النساء} أي: وهو إطلاق لهم، ويقول تعالى: {فطلقوهن} أ: إن شئم مطلق الطلاق ثلاث او دونها، ولكن لو كان أقل فهو أولى، بدليل قوله عن الرجعة

---

(٧٢)البقاعي ،نظم الدرر(١٧٦/٢٢)

(٧٣) البقاعي ،نظم الدرر(٢٨٧/١١)

٧٤ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ١٤٠)

فيقول تعالى:{لعدتهن} أي: في وقتها أو عند استقبال العدة أي استقبال طهر يحسب منها، وهو الطهر الذي لم يجامع فيه إن كانت مدخولا بها.

فصار كأنه قيل: طلقوا لأجل العدة وإذا كان لأجلها فيكون المراد تخفيفها على المرأة بحسب الطاقة لأن مبنى الدين على اليسر، وذلك دال على أن العدة بالأسهار، وأن الطلاق في الحيض حرام لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، ولا يدل على عدم الوقوع لأن النهي غير مستلزم للفساد[٧٥]

٢- في قوله تعالى:(**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم): [البقرة :١٧٨].**

ولقد توسع في آية الأحكام في أكثر من ٨ صفحات معرفا وشارحا ومفصلا، فقال: "وكان الصبر على بذل الروح أعظم الصبر وفعله أعظم مصدق في الإيمان والاستسلام للقصاص أشد وفاء بالعهد أخبر المؤمنين بما أوجب عليهم من ذلك وما يتبعه"، فقال تعالى: ملذذا لهم بالإقبال عليهم بالخطاب، قوله: {يا أيها الذين آمنوا} أي: أي الدعوة للإيمان بالألسنة، فتلحكم هو الله، وجاء مبني للمجهول في قوله: {كتب عليكم} أي : فرض في الكتاب وقد سمعتم إنذاري للذين اختلفوا في الكتاب، وفي قوله :{القصاص} معناها: المساواة في القتل والجراحات لأنه من القص وهو تتبع الأثر.

وقوله: {في القتلى} أي في سائر أمور المتعلقة بالقتل فمن قتل بشيء قتل به، ومن قتل على كيفية قتل بمثلها، فمن قطع يد سرى عليه نفس الحكم، وإلا كان جز الرقبة لتكون الآية عامة مخصوصة في بعض الصور، ومتى لم يقل بالعموم كانت مجملة والتخصيص أولى من الإجمال، ولما ذكر إيتاء المال على حبه وكان قدذكر أن البار هو المؤمن بالكتاب وكان من الكتاب بذل الروح المعلوم حبها عقبه به إشارة إلى أن المال إلا يؤتى لأجل الله إلا بمحض الإيمان كما أن الروح لا تبذل إلا بذلك.

ولما كان أهل الكتاب قد بدلوا حكم التوراة في القصاص إلى أنه كتب عليهم العدل فيه، فكان من كان منهم، فكان بنو النضير يأخذون في قتلاهم الدية كاملة وبنو قريظة نصف الدية، وكان بعضهم يقتل النفس بالنفس

---

(٧٥)البقاعي ،نظم الدرر(٢٠/١٤٠-١٤١)

فأشار سبحانه وتعالى إلى مخالفتهم في هذا الجور مبينا للمساواة، بقوله: {الحر بالحر} ولا يقتل بالعبد، لأن ذلك ليس بأولى من الحكم المذكور ولا مساويا بقتل العبد به لأنه أولى ولا بالحكم فهو مفهوم موافقة.

ولما قدم هذا لشرفه تلاه بقوله: {والعبد بالعبد} تعظيما للذكورية، وكذا يقتل بالحر لأنه أولى، ولا يقتل الحر بالعبد لأنه ليس مساويا للحكم، {والأنثى بالأنثى} وتقتل لأنثى بالذكر والذكر بها، لأن كل منهما مساو للآخر وفاقا للأصل المؤيد بقوله صلى الله عليه وسلم «النساء شقائق الرجال» احتياطا للدماء التي انتهاكها أكبر الكبائر بعد الشرك، ونقصت الدية النصف إن كانت بدل الدم وفاقا، لقوله تعالى {وللرجال عليهن درجة} [البقرة: ٢٢٨] .

وفي قوله {القتلى} دون أن يقول: القتل، فيه أخذ غير الجاني ليس قصاصا بل اعتداء ثانيا ولا ترفع العدوى بالعدوى إنما ترفع العدوى بالقصاص على نحوه وحده .

وفي المساواة كذلك لا يقتل مسلم بكافر بما أفهمه القصاص، حيث قيد الحكم بأهل الإيمان مع قوله سبحانه وتعالى:{لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة} [الحشر: ٢٠] في أمثالها من الآيات.

ولما فتح سبحانه وتعالى لنا باب الرحمة بالقصاص منبها على تبكيت أهل الكتاب وكان ذلك من حكم التوراة لكن على سبيل الحتم وكان العفو على النصارى كذلك أظهر في الفرقان زيادة توسعة بوضع هذا الإصر عنا بالتخيير بينهما.

فإذا انكشف حجاب الطبع عاد إلى أخوة الإيمان، فقال: {فاتباع} أي : أن الأمر هنا لاتباع من ولي الدم وقوله: {بالمعروف} : فيه توطين النفس على كسرها عن حدتها وأحقاد الجنايات.

وقد أمر المؤدي بقوله: {وأدآء إليه بإحسان}، فالإنصاف لأولياء المقتول بما لهم من السلطان، فقال: {فقد جعلنا لوليه سلطانا}: [الإسراء: ٢٢] فيراقبون فيهم رحمة الله التي رحمهم بها فلم يأخذ الجاني بجنايته .

ولما وسع لنا سبحانه وتعالى بهذا الحكم نبه على علته تعظيما للمنة، فقال: {ذلك} أي: وهو أمر كبير فيه رفق ، بمعنى التخيير بين القصاص والعفو بالدية، قال تعالى: {تخفيف} أي: عن قتلهم، وقال: {من ربكم} : أي هو المحسن إليكم بحنيفته السمحة وهذا الحكم الجميل، وجمع الضمير لأن كل طائفة معرضة لأن تصيب منها الأخرى.

وقوله: {ورحمة}، أي : لأولياء القتيل بالدية وللآخرين بالعفو عن الدم، روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فمن عفي له من أخيه شيء أي يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم فمن نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

وقال أهل التفسير: كتب على اليهود القصاص وحرم عليهم الدية والعفو، وعلى النصارى كتب لهم العفو وحرم عليهم الدية، وهي منة بها تهديد لمن يأبى عنها، فقال تعالى: {فمن اعتدى} :أي بالقتل {بعد ذلك} : أي التخيير في العفو، ولما لم يكن هناك عفو غيره، قال: {فله عذاب أليم } ، ويكون العذاب بقتله أو أخذ الدية منه جزاء على عداوته بقدره وتعديه، لما فعله من الإباء للرخصة التي صدرت من المالك في العباد، الذي لا تسوغ مخالفته، وفي تسمية جزائه بالعذاب وعدم تخصيصه بإحدى الدارين إعلام بالتغليظ فيها. قال الحرالي: وفي الآية دليل على أن القاتل عمدا لا يصير بذلك كافرا، قال الأصبهاني: قال ابن عباس: سمي القاتل في أول الآية مؤمنا وفي وسطها أخا ولم يؤيسه آخرها من التخفيف والرحمة [٧٦]

❖ **اهتمامه بالقراءات**

١- في قوله تعالى :(مالك يوم الدين)

إن لفظ: " المالك": إذا أضيف إلى اليوم أفاد اختصاصه بما فيه من الاختصاص والعرض، فلا يكون لأحد معه أمر وليس هناك مالك سواه، ولما كان إضافته للناس ليس لها معنى لهم فيها، فكان قوله: {ملك الناس} [٧٧]

٢-في قوله تعالى :(وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين): [البقرة:٥٨]

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٣٩٦)

ففي قراءة {نغفر} تول من الحق ومن هو من حزبه من الملائكة والرسل، وفي قراءة: تغفر، إبلاغ أمر خطابهم بما يفهمه التأنيث من نزول القدر، وفي قراءة الياء توسط بين طرفي ما يفهمه علو قراءة النون ونزول قراءة التاء، ففي ذلك بجملته إشعار بأن خطاياهم كانت في كل رتبة مما يرجع إلى عبادة ربهم وأحوال أنفسهم ومعاملتهم مع غيرهم من أنبيائهم وأمثالهم حتى جمعت خطاياهم جميع جهات الخطايا الثلاث، فكأنهم ثلاثة

(٧٦) البقاعي ،نظم الدرر(٣/٢١-٢٩)

(٧٧)البقاعي ،نظم الدرر(٣٢/١)

أصناف: صنف بدلوا، وصنف اقتصدوا، وصنف أحسنوا فيزيدهم الله ما لا يسعه القول و {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} [الرحمن: ٦٠] [٧٨]

رابعاً: التفسير الإشاري

معنى التفسير الإشاري: هو ما يستنتجه من معاني تتعلق بكلمات، ومن الأمثلة التطبيقية عليها:

١- في قوله: **افتتح التعوذ** بالهمزة أشاره إلى ابتداء الخلق وختم بالميم ، وهو إشارة إلى المعاد فكانت البسملة كلها مرجعها للمعاد، لابتدائها بحرف شفوي، وختام أول كلماتها في النهاية بإشارة إلى الرجوع إليه في الدنيا بمعنى تدبير الأمور، وإن كان أكثر الخلق غافلا عنه، وفي البرزخ حسا بالأموات، وفي الآخرة كذلك بالبعث، كما أشار إلى ذلك، بان كرر حرف الميم الذي ختم بها، فذرها مرتين وفيها إشارة إلى المعادين الحسيين والله أعلم [٧٩]

٢-في قوله تعالى : (إن الذين كفروا):[البقرة: ٦]

فكل موذع كان فيه لفظ " الكفر": هو دلالة أصلية لا تكون مخفية، فلا يخالف لها ولا ستر فيها، وهذا إما عنادا وإما بإهمال النظر السديد والركون إلى نوع تقليد[٨٠]

٣- في قوله تعالى :**(إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)** : [القصص:٧٦]

وقد تعرض في الآية للسبب، فقال: {إذ قال له}.

وقال: {قومه}: هو إشارة إلى تناهي لافتخاره وكبره على أقاربه فقد جرت العادة على الطاعة لهم، ولا يؤرث التعزر عليهم ولا يحمل إلا على النصح والشفقة، وساغت نسبة القول للكل وإن كان القائل البعض، بدليل ما يأتي، إما عدا للساكت قائلا لرضاه به لأنه مما لا يأباه أحد، وإما لأن أهل الخير هم الناس، ومن عداهم عدم، {لا تفرح}: أي لا تسر سرورا يحفر في قلبك فيتغلغل فيه فيحرفك إلى الأشر والمرح، فالفرح بما يزول هو ركون له، وفيه دلالة على التناسي للآخرة، وفيه جهل عظيم وفقد للأمل، فجروا للمرح والهلاك.[٨١]

٤-وفي قوله تعالى :(ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون):[يس:٤٩]

وفيه إشارة واضحة لوقت الصعق أنهم سيكونون في أمان كبير منها، لإعراضهم عنها بلغ الغاية المزيد عليها،

---

(٧٨) البقاعي ،نظم الدرر(٣٩٦/١)
(٧٩)البقاعي ،نظم الدرر(٢٢/١-٢٣)
(٨٠)البقاعي ،نظم الدرر(٩٥/١)
(٨١)البقاعي ،نظم الدرر(٣٥١/١٤)

فالإدغام: يشير لكون الخصومة في غاية الخفاء بالنسبة إلى الصيحة، وأنه قد بلغت الخصومة لشدتها.

ولم تقرأ " يختصمون": بالإظهار، وهو إشارة إلى أنه لا يقع في ذلك الوقت خصومه كاملة حتى تكون ظاهرة بل تهلكهم الصيحة قبل استيفاء الحجج وإظهار الدلائل، فمنها ما كان ابتدأ فيه اصحابه فأوجزوا بما أشارت إليه قراءة حمزة بإسكان الخاء وكسر الصاد مخففا، وأشار من قرأه كذلك مع كسر الخاء إلى التوسط مع الخفاء والسفول[٨٢].

(٨٢)البقاعي ،نظم الدرر(١٤٠/١٦)